حتى أنت تموت

اقتربت بحذر، كانت أعمدة من المياه ترتفع داخل الأسطوانة الزجاجية، يتجمع ضباب رمادى ثم يأخذ طريقه فى لى شفاف لم يعنها الجالس فى استرخاء تام، يعالج بفمه قطعة البلاستيك ويفتح شفتيه وكأنه يتحدث والكلمات دخان، عطلت مؤقتاً الرائحة الذكية حواس الشم والاستشعار عن بعد، ما أثارها فعلا حركة المياه الصاعدة التى لا تنتهي، إلى لا شيء، البلورة الصافية تصنع إشكالاً خرافية، تدركها بعين ألفت الأشخاص وقطع الطعام والمواد الحرة الحركة فى الهواء، جاء من خلف الضباب من كمون وإظلام خفيف إلى الدائرة التى صنعتها حول مكان اللهب وأعمدة الدخان ورائحته التى تنتشر كالبخور، أضاف عدة جمرات متقدة، تنبهت أن حامل الجمرات ليس فى يد "طه" يتحرك وحده مختفياً وراء الضباب، من يمسك مقبضه، لحظات وتشكلت فى الأجواء أوجه جديدة، مباشرة أمام أعين الجميع، لحظات ونفث الشيشة بقوة مصحوبة بزفير من الأعماق، راحت تتابع أشكالا جديدة تتكون وتتكور، تتحاور بعصبية، يغطى عليها صوت التلفاز وهو ينقل عبر بث مباشر من مناطق بعيدة، يتشكلون الأن أمامها، أمامهم جميعاً

جواد تتقاذفه الرياح بعد أن مزقت الفارس إلى قطع، مازال الجسد متعلقا بذيل الحصان، يرفض أن يزوي، الرفض تحد يكسب من يفعله شموخ القوة، تيار الهواء البارد يعيد تشكيل الأوضاع كانت تشعر بالجوع، لا شيء سوف يشغلها عن القوت الضرورى للحياة والاستمرار، همت بالابتعاد عن كل هذا، تحركت فعلاً فى اتجاه المنطقة الرمادية حيث تختفى كل الكائنات الجزافية التى تصدر من تلك المعوجة الزجاجية الشفافة والتى برغم شفافيتها تخرج كل تلك الصور، سرعان ما تقهقرت إلى الوراء فقد كان "رمضان ضنا" قد جاء يحمل صينية تفوح منها مناقيش وفطائر "أبوالدهب" ويضعها مباشرة أمام النرجيلة على الطاولة فى متناول يده اليسرى حيث اليمنى تمسك بالخرطوم، لم يشأ أن يتناول الطعام وقد امسكت به شرائط الدخان، تعجبت ان فمه يخرج النار طوفانا فلم لا يأكل الآن؟، وكأنه فهم انتظارها، نظراتها جلوسها فى مقابل نار الولعة واللهب وفطير جدو أبوالدهب ألقى قطعة لا بأس بها، غيرت رأيها فى الرحيل خلف لقمة العيش، فى عجالة التهمت ما ألقى، وكأنه أحس بلهفتها على الفتات بادر بأخرى وثالثة، جذبت الرائحة فطيطه صغيرة من العائلة المشمشية، سمحت لها أمها بأن تنزل إلى الكافية لتجرب الاعتماد على الذات، طردتها من المكان بخربشة فى الوجه، احتفظت بمسافة تقيها الغضب دارت محدثة صوتا خفيضا حول نار الشيشة، سرعان ما استجاب وألقمها قطعة بعد قطعة، كانت الخيالات قد تحولت إلى صفوف متراصة من المتقاتلين، اشتعلت

على أثره بعض الحرائق المحدودة، طرقعة نار الفحم وشرارات وقنابل دخان وهراوات وأصوات شتائم ومناورات، عدت أكثر من عشرة يسقطون، دماء نازفة فى الطرقات، اخلاء سريع بلا أثر وكأن هناك قطة خفية تغيبهم فى بطنها كما تفعل مع اللقيمات، كادت تشبع، يمكن أن تنصرف فى أى وقت، مع قدوم أرجل نحوها تعرفها جيدا، أرجل الحاج محمد مدير الكافيه، استقر إلى كرسى مجاور، كانت قطع الطعام قد توقفت منذ لحظات، سمعت صوت الحاج محمد يستفسر: أنت إيه رأيك يا حاج جمال فى اللى بيجري؟ صوت قلق، مضطرب. جمال. جمال! يسرع ضنا إلى المكان تسرع عدة ارجل إلى المكان، صوت يسأل: انت حطيت ايه فى الأكل، هاتولى حالاً ابوالدهب. دا مات، والمصحف ما فيه حاجة فى الأكل، صوت ضنا يعلو: هو ما أكلش حاجة كان بيرميها للقطة وهى عايشه أهي، صوت طه: أنا غيرت الولعة وكان عادي؟ لا قوة إلا بالله، ابتعدت الأرجل فى سرعة واضطراب ظاهر وقف عدد من العمال على مسافة يحرسون الجثمان الجالس على الكرسي، كان يحب جلسته تلك المنعزلة أمام التلفاز متابعاً نشرات الأخبار مقلباً القنوات والصحف اليومية، كان يحب كل الناس، العمال حتى قطط الموائد.؟

خاطرت بالاقتراب من مائدته، هل حقا مات، كان لا يزال ممسكاً باللى بين يديه وطرفه فى فمه، جلسة عادية تماماً، اليد الأخرى سقطت بعيداً عن الأطباق قفزت إلى الطاولة، تأملته ومدت أنفها إليه

بحذر تراجعت قليلاً، كان الطعام قد برد تماما، سوف يلقونه فى المهملات، تراجعت عن فكرة الرحيل، فى النهاية كان يريد أن أتم وجبتي، تركت الأطباق وقد مسحتها تماماً.